

اطمئنوا... أمريكا بخير

ديفيد بروكس

صحيفة نيويورك تايمز

5 أبريل 2010

Relax, We'll Be Fine

By David Brooks

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس

- من كتاب (مقالات الأعمدة) في صحيفة (نيويورك تايمز) منذ عام 2003.
- عمل محررا في مجلة (ويكلي ستاندارد) منذ انطلاقتها.
- كان من كتاب (مقالات الأعمدة) في صحيفة (وول ستريت جورنال).
- عمل محررا مشاركا في مجلتي (نيوزويك) و(اتلانتيك مونثلي).
- عمل محللا في إذاعة (NPR).
- عمل أستاذا للسياسة العامة في جامعة دوك.
- إجازة في التاريخ. جامعة شيكاغو.



ديفيد بروكس

وفقا لاستطلاعات الرأي الأخيرة، يعتقد (60%) من الأمريكيين أن بلادهم تسير في الاتجاه الخاطئ، وتعتقد النسبة نفسها أن أمريكا تمر بانحطاط طويل الأمد؛ فالنظام السياسي عاجز عن أداء مهامه، والأزمة المالية تبدو بلا نهاية. وهناك العديد من الأسباب التي تدعو إلى الإحباط. ولكنك إذا كنت ترغب في القراءة عن تلك الأسباب في هذا العمود، فتوقف حالا. لأن هذا العمود ليس إحفلة يعربد فيها التفاؤل. انطلاقا من الحقيقة التي تقول، وعلى الرغم من كل المشكلات، أن مستقبل أمريكا مشرق للغاية.

يقدر خبراء علم السكان أن يرتفع عدد سكان أمريكا خلال السنين الأربعين القادمة بمقدار مئة مليون نسمة أخرى ليصل العدد الإجمالي إلى 400 مليون نسمة. وسيكون السكان حينها مجموعة من المستثمرين الرواد ذوي الأعمار الصغيرة نسبيا؛ ففي عام 2050 سيكون ربع السكان فقط تتجاوز أعمارهم الستين، وذلك بالمقارنة مع (31%) في الصين و(41%) في اليابان. ويقدم لنا الجغرافي البار جويل كوتكين (Joel Kotkin) في كتابه

اطمئنوا... أمريكا بخير

(المئة مليون القادمة: أمريكا عام 2050) صورة عامة للكيفية التي سيؤدي بها هذا النمو إلى تغير المشهد الوطني. ويستقرى من خلال التوجهات الحالية وصفا لصورة تجتمع فيها الضواحي والقرى والمراكز الحضرية النابضة بالنشاط.

لقد كانت الموجة الأولى من الضواحي تتسم بالفوضى وانعدام الملامح. وقد لاحظ الكاتب والصحافي توم وولف (Tom Wolfe) ذات مرة أنه لا يمكن للمرء أن يعرف بأنه دخل بلدة جديدة إلا إذا بدأ برؤية محلات الوجبات السريعة؛ ولكن الإنسان بحاجة إلى أن يسكن في مكان ذي معنى. لذلك نجد خطط التطوير تعمل على الاستعاضة عن ذلك بإحداث مراكز نشاط حضري داخل الضواحي يجد فيها الناس المطاعم، ومكان العمل، والسينما، والساحات العامة.

ويرى كوتكين أن مراكز المدن والبلدات ستستمر في تطورها المبالغ به خلال الأربعين عاما المقبلة، ولكن التركيز سينتقل منها إلى قرى الضواحي المختصرة والمكتفية ذاتيا. وسيكون معظم هذه الأماكن الجديدة في جنوب وجنوب شرق أمريكا. ولكن كوتكين يشير أيضا إلى المساكن الرخيصة في وسط شمال أمريكا كما في بلدات فارغو (Fargo) ودوبيوك (Dubuque) وايبوا سيتي (Iowa City) وسو فولز (Sioux Falls) وبويزي (Boise).

وسيكون من أسباب النمو السكاني ارتفاع معدل الخصوبة (نسبة المواليد إلى عدد السكان)؛ فهذا المعدل يزيد في أمريكا بمقدار (50%) عما يماثله في روسيا، أو ألمانيا، أو اليابان. ويتجاوز مثيله في الصين بفارق أكبر بكثير. كما إن الأمريكيين الذين ولدوا في الفترة (1968-1979) يميلون أكثر إلى تأسيس عائلة بالمقارنة مع أسلافهم من جيل الطفرة. كما إن العائلات الجديدة أكبر عددا.

بالإضافة إلى ذلك، لا تزال أمريكا مغناطيسا يجتذب المهاجرين؛ وعلى الرغم من اختلاف مواقف باقي دول العالم منهم، فإن أمريكا تعد من أفضل الدول التي يندمج فيها المهاجرون (على العكس من الصين التي تحتل موقعا سلبيا استثنائيا في تعاملها مع المهاجرين).

اطمئنوا... أمريكا بخير

وكانت نتيجة ذلك أن نصف عدد المهاجرين الكفوئين يتوجه إلى أمريكا كما يذكر كوتكين. حيث قام هؤلاء في الفترة (1990-2005) بإطلاق ربع المشاريع التجارية الجديدة المعتمدة على المغامرة.

إن الولايات المتحدة تتبوأ الآن المركز الأول. أو ما يقترب منه. في كافة مجالات التنافس الاقتصادي العالمي تقريبا. وقد وجدت دراسة أجراها مركز راند كوربوريشين (Rand Corporation) أن أمريكا تتقدم على العالم في مجال التطور العلمي والتكنولوجي. حيث تنفق أكثر من ثلث الإنفاق العالمي على البحث والتطوير. ولهذا السبب وغيره يعد العامل الأمريكي العادي أكثر إنتاجية من العامل الصيني بعشرة أضعاف. وهي فجوة في طريقها إلى الزوال. ولكن ذلك لن يحدث في المستقبل المنظور.

إن هذا الواقع يقود إلى جو من الحيوية والنشاط. وكما يذكر ستيفين روز (Stephen J. Rose) في كتابه (النهوض بعد الكبوة: لماذا سوف تنهض أمريكا قوية أكثر بعد الأزمة المالية). فإن نسبة عدد الأمريكيين الذين يكسبون في العام (35,000-70,000) دولار قد انخفض بمقدار 12 نقطة مئوية في الفترة (1979-2007). وذلك على اعتبار الدخل محددًا على مقياس العائلة. ويعود ذلك في الأغلب إلى أن نسبة الأمريكيين الذين يكسبون في العام أكثر من (105,000) دولار قد ارتفعت بمقدار 14 نقطة مئوية. وعلى امتداد الأعوام العشرة الماضية. تمكن أكثر من (60%) من الأمريكيين من أن يكسب أكثر من (100,000) دولار خلال واحد أو أكثر من هذه الأعوام العشرة. واستطاع (40%) من الأمريكيين أن يصل دخله إلى هذا المنسوب في ثلاثة أعوام أو أكثر.

ومع ازدياد ثراء العالم. سيزداد الطلب على أصناف من المنتجات يبيع الأمريكيون في إنتاجها: التجارب الوجدانية. إن الفرد الأمريكي المتعلم ينشأ في ثقافة مطبوعة بطابع المادية الأخلاقية. ويتم شحذ أحاسيسه بمسلسلات تلفزيونية معقدة من أمثال (سوبرانوز (The Sopranos) و(واير (The Wire) و(ماد من (Mad Men). ولا يكف عن تأسيس شركات

اطمئنوا... أمريكا بخير

من أمثال أبل (Apple)، وذلك ضمن هويات تحمل معنى أخلاقيا ونفسانيا، وهذا ما تحبه وتشتهيه أنفس المستهلكين الموسرين.

إن الجيل الجديد يقود عملية إحياء اقتصادي، وهو في الوقت نفسه يشارك في عملية ذات بعد جماعي، حيث نعيش اليوم في عصر المغامرة التجارية العالمية.

في عام 1964 كان هنالك (15,000) مؤسسة في أمريكا، وارتفع الرقم إلى (61,000) بحلول 2001؛ وفي عام 2007 وصل حجم التبرعات الخاصة إلى (300 مليار دولار)، كما نشهد ارتفاعا كبيرا مع حلول كل عام جديد في عدد المشاركين في منظمات من أمثال سيتي بير وتيتش فور أميركا وكوليج سميت¹. أضف إلى ذلك ما في الضواحي من فائدة، فكل نقصان بنسبة (10%) من الكثافة السكانية يقابله ارتفاع بنسبة (15%) في فرص مشاركة الناس في النوادي الاجتماعية، حيث تمر ثقافة الخدمات بمرحلة من القوة والانتشار.

خلاصة الأمر أن أمريكا على حافة نهضة سكانية واقتصادية واجتماعية تعتمد على ما لها من نقاط قوة عبر تاريخها؛ إذ طالما برعت أمريكا في إحداث التغييرات الصعبة، وتفوقت في بناء المجتمع بعيدا عن المركزية، وامتلكت المادية الأخلاقية التي تنبثق عنها منتجات مليئة بالمعاني. ولا شك أبدا في أن مثل هذه البلاد التي تسعى هذا السعي الدؤوب لن تقف متفرجة أمام توجه سياسي عن يحاول عرقلة مسيرتها.

1) سيتي بير (City Year) وتيتش فور أميركا (Teach for America) وكوليج سميت (College Summit): مؤسسات أمريكية تعتمد على التبرعات والأعمال التطوعية في سبيل دفع مسيرة التعليم المدرسي والجامعي. (المترجم)